الذهبي: كان حُلوَ المجالسة ذكياً عالماً فيه اعتزال، وينطوي على دينٍ وإسلام وتعبُّد، سمعنا منه، ويقال إنه رجع في آخر عمره ونسخ صحيح البخاري. قال ابن حَجَر: ووجد بعد موته بمدة بخطٍّ يشبهُ خطّه كتاب سمَّاه (الطرائف في معرفة الطوائف) يتضمن الطعن على دين الإسلام، وأورد فيه أحاديث مشكلة، وتكلَّم على متونها بكلامِ عارفٍ بما يقول إلّا أنَّ وضع الكتاب يدلّ على زندقة منه، وقال في آخره: وكتبهَ مصنفه (عبد الحميد بن دَاود المصري)، وهذا الاسم لا وجود له. وشهد جماعة من أهل دمشق أنه خطَّه، وأخذه تقي الدين السّبكي عنده، وقطعه في الليل، وغسله بالماء، ونسب إليه عماد الدين بن كبير الأبيات:

أيـا مَـعْـشَـر الإسـلام ذَمِّـي دِيـنَـكُـمْ

وقد أجاب عليها ابن تيمية كما سبقت الإشارة إلى ذلك. (ومات) في صفر سنة ٨٢١ إحدى وعشرين وثمانمائة. (قلت) ومجرد كون الخط يشبه خطه في ذلك الكتاب لا يحل الجزم بأنه مصنفه لاحتمال أنّ الخطَّ غير خطِّه، وعلى فرض أنه خطّه، فقد يكون الواضع له غيره، وكتبه بخطه. ولا ريب أن لكثير من غلاةِ الرافضة أشياء من هذا الجنس. ومن ذلك كتاب النصرة المنسوبة إلى رجل يهودي ذكر في أوائلها أنه أراد أن يسلم فرأى اختلاف أهل الإسلام في التشيع والتسنن فتوقف عن الإسلام، وأخذ كتباً من كتب الحديث فنظر فيها ثم أظهر في مبادئ أمره الانتصار للشيعة ومطمح نظره غير ذلك، فإنه كان ينقل الأحاديث الصحيحة الموجودة في الأمهات التي فيها تعارض في الظاهر فيوسع دائرة الإشكال، ويأتي بمسالك عارف بمدارك الاستدلال، ويتغاضى عن الجمع والتأويل، ويصرح بما يفيد الطعن في الشريعة موهماً لجهلة الشيعة أنه بصدد نصرتهم والطعن في كتب خصومهم، فمن نظر إليه بعين التحقيق وجده طعناً على الشريعة وثلباً للإسلام وتشكيكاً في الدين. وواضعه لا شكّ أنه بعض متزندقة الرافضة. ومن الغريب أنه صار يتداوله جماعة من جهلة الشيعة في هذه الأزمنة، فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

(٤٣١)

(مُحمَّد بن الحسَن بن أحمد الحَيْمي الكَوْكَباني القاضي الأديب)[1]

كان قاضياً بكوكبان، وله نظم منسجم فمنه القصيدة التي مطلعها: [من الطويل]

نَعَمْ هذه أنفاسُ عَرْفِ الصَّبا النَّجْدي سَرَتْ فَطَوَتْ من أرضِها شُقَّةَ البُعْدِ

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٩/ ١٨١؛ هدية العارفين: ٢/ ٣٠٩.

وله قصيدة أخرى مطلعها: [من الرمل]

نَسْمَةٌ أهدتْ لِقَلْبي نَفَسَا جِينَ زارتني ومَرَّتْ غَلَسَا[1]

وله شعر كثير. وقد ترجم له صاحب نسمة السحر، وحكى عنه أنه أخبره في شوَّال سنة (١١١١) أنه كان بشبام رجل يتظاهر بعشق امرأة وهو مشهور بالشطارة والإقدام، وكان لا يزال يجتمع بها ولا تقدر أن تمتنع منه لشدة بطشه متى أرادها. واتفق أنه كان في أيام الحصاد يحرس زرعاً له في بيت له لطيف بظاهر شبام وقد خلا بتلك المرأة بالليل وهي ليلة النصف من شعبان المشهورة بالبركة، فلما هدأت العيون سمع أهل شبام صوتاً يشبه صوت الصاعقة، قال صاحب الترجمة: وأنا منهم، ففزع الناس وخافوا خوفاً شديداً وصعدوا السطوح، وإذا الحرس يتبادرون إلى بيت ذلك الرجل وهم يقولون إنه انقض كوكبٌ عظيم وله صوت عظيم ما سمع بمثله إلى بيته، فلما وصلوا إليه وجدوا البيت قد صار كوم تراب والرجل فيه، وهم لا يعلمون بمبيت المرأة معه، قال صاحب الترجمة: فأرسلوا إليّ لأحضر على الحفر عنه، وكنت قاضياً فحفروا عنه إلى الصباح حتى ظهر لهم وهو على تلك المرأة في الفاحشة وقد صارا حممة، فأُخرجا ودفنا، وكانا عبرةً.

قال صاحب نسمة السحر أيضاً أنه حدَّثه المترجم له أن رجلاً اسمه أحمد بن صلاح الغفاري الفقيه من سكَّان قلعة شهارة، مرض وأُغمي عليه وأيس منه أهله ووجّهوه إلى القبلة، وقعدوا يقرأون القرآن حوله. واتفق أن مسكيناً جاء إلى بابه فأعطته زوجته حبّاً في طبق، ثم بعد ما مضى السائل أفاق ذلك المريض، وطلب مأكولا وكلّمهم، وقال: بينما أنا في شدة لا أعقل إذ دخل عليه من الباب شخص كالجزار مُشمِّرٍ عن ساقيه وذراعيه وبيده سكّين عظيمة فأخرج من نطاقه مِسَنّاً وجعل يسنُّ السكِّين ثم يقدم إليَّ لذبحي، وقعد فوق صدري وأنا شاخص إليه، فبينما هو في ذلك إذ انفلق السقف، ونزل منه شخصان أبيضان في غاية الوسامة وطيب الرائحة وبيد أحدهما طبق فيه حب فكفاه عن قتلي، وسارَّاه بشيء وأشارا إلى الطبق، وفهمت منهما أن اللَّه زاد في عمري بركة الصدقة، فردّ السكين، وقالا: اذهب إلى فلان ـ جار لي ـ ثم صعد إلى السقف الذي تدلّى منه، وخرج ذلك الشخص، فسمع الصراخ في دار جاره. انتهى. (ومات) صاحب الترجمة في سنة ١١١٥ خمس عشرة وإحدى عشر مائة.

---

(١) الغَلَسُ: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.